مختصر

تفسير البغوي

المسمى بـ «معالم التنزيل»

للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود

الفراء البغوي الشافعي

المتوفى سنة (٥١٦ هـ)

اختصار وتعليق

الدكتور عبد الله بن أحمد بن علي الزيد

دار السلام
DARUSSALAM

دار السلام للنشر والتوزيع

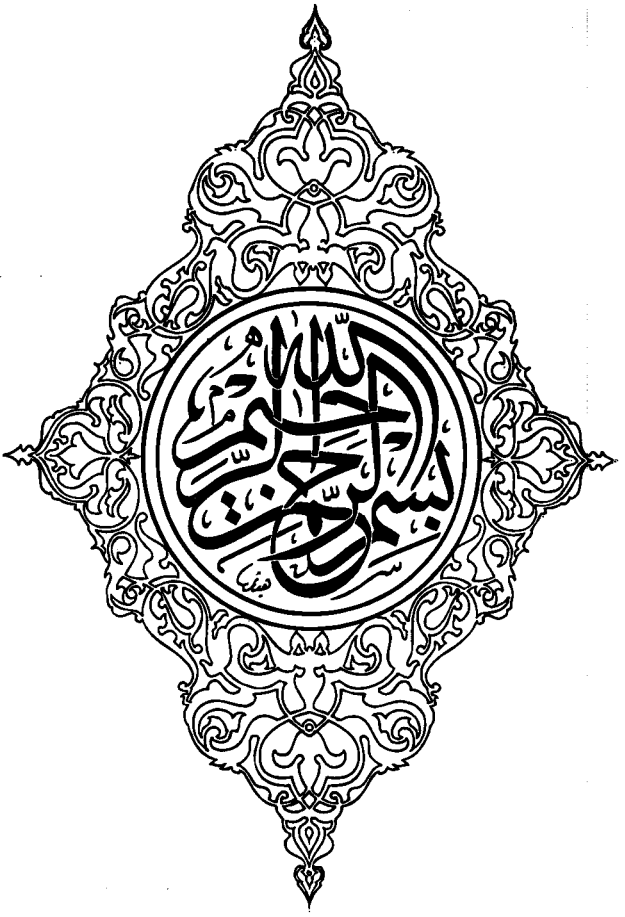
بسم الله الرحمن الرحيم

مختصر
تفسير البغوي
المسمى بـ «معالم التنزيل»

دار السلام للنشر والتوزيع

شارع الأمير عبدالعزيز بن جلوي
(الضباب سابقاً)
مقابل الغرفة التجارية
ص.ب ٢٢٧٤٣ الرياض ١١٤١٦
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٠٣٣٩٦٢-٠٠٩٦٦١/٤٠٤٣٤٣٢
فاكس: ٤٠٢١٦٥٩/٠٠٩٦٦١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كلمة الناشر

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على النبي الأمي وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فهذا اختصارٌ تفسيريٌّ اختصره فضيلة الدكتور/ عبدالله بن أحمد بن علي الزيد، حفظه الله، من تفسير الإمام الحافظ الفقيه المجتهد أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء، البغوي المسمى بـ «معالم التنزيل».

وتفسيره الكامل الذي منه هذا الاختصار من أجل كتب التفسير بالمأثور، يسرد فيه التفسير بالقرآن - أي يجمع بين الآيات ذات المعنى الواحد ليوضح معنى الكلمة التي تضمنتها - ويأتي بالأحاديث مع أسانيدها كما يذكر أقوال الصحابة ومن بعدهم من أئمة التفسير وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة؟ الزمخشري أم القرطبي أم البغوي أو غير هؤلاء؟ فأجاب قائلًا:

«وأما التفاسير الثلاثة المسئول عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة - البغوي» وعنه قال: «تفسيره مختصر من تفسير الثعلبي لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة».

فلما كان تفسيره بهذه المكانة العظمى وأثنى على اختصاره غير واحد من أهل العلم، أعدنا طبعه من جديد بعد التنسيق مع المختصر.

عملنا في هذا الكتاب:

١- طبع الكتاب في مجلد واحد لأول مرة بلونين.

٢- وضع المصحف كاملًا، وكذلك أخذ الآيات القرآنية المفسرة برسم المصحف من الحاسب الآلي تجنبًا للأخطاء المطبعية.

٣- تصحيح الأخطاء التي نبه عليها فضيلة الدكتور عبدالله الزيد، فضلًا عن الأخطاء التي استدركها أعضاء لجنة البحث العلمي بدار السلام.

٤- تم طباعة الكتاب على ورق شمواه.

ونحن عندما نقدم هذا السفر الجليل بين يدي القارىء الكريم، نتضرع إلى الله تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم. هذا ... ونشكر كل من سعى لإخراج هذا العمل في ثوبه الجديد. وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

خادم الكتاب والسنة

عبدالمالك مجاهد

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الرقم .....
التاريخ .....
المرفقات .....

الموضوع .....

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وجعله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان والصلاة والسلام على عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات والبراهين. وعلى آله وأصحابه أولي العلم والعرفان. وبعد: فإن تفسير الإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي تفسير جيد يشهد العلماء بجودته وإتقانه وتمشيه على مذهب السلف في المنهج والاعتقاد. إلا أنه طويل بالنسبة لحاجة غالب الناس اليوم، فالناس اليوم بحاجة إلى تفسير مختصر موثوق. فلذلك اتجهت همة أخينا الشيخ الدكتور: عبد الله بن أحمد بن علي الزيد إلى اختصار هذا التفسير وتقريبه للناس. وقد اطلعت على نموذج من عمله فوجدته عملا جيدا ومنهجا سديدا. حيث إنه يختار من هذا التفسير ما يوضح الآيات بأقرب عبارة وأسهلها، فهو مختصر جيد مفيد. جزى الله أخانا الشيخ عبد الله على عمله هذا خيرا. وغفر الله للإمام البغوي ورحمه جزاء ما ترك للمسلمين من علم نافع ومنهج قويم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه:
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
صالح
في ١٤١٢/١٠/١٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ لفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان آل فوزان

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وجعله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات والبرهان، وعلى آله وأصحابه أولي العلم والعرفان. وبعد:

فإن تفسير الإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي تفسير جيد، شهد العلماء بجودته وإتقانه وتمشيه على مذهب السلف في المنهج والاعتقاد، إلا أنه طويل بالنسبة لحاجة غالب الناس اليوم، فالناس اليوم بحاجة إلى تفسير مختصر موثوق.

فلذلك اتجهت همة أخينا الشيخ الدكتور/ عبدالله بن أحمد بن علي الزيد إلى اختصار هذا التفسير وتقريبه للناس. وقد اطلعت على نموذج من عمله فوجدته عملًا جيدًا ومنهجًا سديدًا، حيث إنه يختار من هذا التفسير ما يوضح الآيات بأقرب عبارة وأسهلها، فهو مختصر جيد مفيد. جزى الله أخانا الشيخ/ عبدالله على عمله هذا خيرًا وغفر الله للإمام البغوي ورحمه، جزاء ما ترك للمسلمين من علم نافع ومنهج قويم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه:

صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

في (١٣/ ١٠/ ١٤١٣هـ)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، ولمن استمسك به هدى ونورًا... والصلاة والسلام على من أرسله بالهدى والبينات سراجًا منيرًا، نبينا محمد بن عبدالله، وعلى آله وأصحابه الذين حفظوا كتاب ربهم وعملوا على جمعه وضبطه وتدوينه ليصل إلى من بعدهم بصورته التي بها نزل.

وبعد: فإن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الدالة على صدق رسالة محمد ﷺ والدعوة العظمى من الله تعالى إلى التوحيد الخالص والطريق المستقيم، وقد تولى الله حفظه من التحريف والتبديل والتغيير والمعارضة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

وها هو قد مضى على نزوله أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان ولا يزال كما وعد الله محفوظًا كما أنزل لم يتغير فيه عما نزل حرف ولا كلمة، ولا ترتيب، وسيبقى كذلك إلى آخر الدهر.

وقد ظهر لي من خلال عملي حاجة الناس إلى تفسير مختصر يجمع بين علمي الرواية والدراية، يكون في متناول الكل، يتميز بخلوه من المخالفات الشرعية والعقدية، وذلك لأن الوقت في هذا العصر أصبح قليلًا جدًّا بسبب تزاحم المعلومات في كل العلوم، فرأيت من المناسب اختيار تفسير مختصر يلبي حاجة من أراد الاطلاع على معاني كلام الله سبحانه وتعالى. وقد اطلعت على كثير من المختصرات فوجدت بعضها يهتم بجانب واحد من جوانب إعجاز القرآن كمباحث الإعراب ونكت البلاغة، والبعض الآخر لا يخلو مما يستوجب النظر، ومنها ما يستطرد لعلوم أخرى لا يُحتاج إليها في فهم القرآن.

ولما كان تفسير الإمام البغوي - رحمه الله - المسمى (معالم التنزيل) يجمع بين علمي الرواية والدراية مع وضوح العبارة، وجمعه لكثير من المعاني التي يذكرها المفسرون بأسلوب سهل مقتضب بعيدًا عن الألغاز والتعمية مع ما يتميز به من الالتزام بمذهب السلف الصالح في المجال العقدي وما خص به من ثناء العلماء والأئمة، وما حظي به من القبول لدى الأمة، فقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة، الزمخشري؟ أم القرطبي؟ أم البغوي؟ فأجاب في فتاواه (ج٢ - ص ١٩٣) ما نصه: «أسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة: البغوي».

وقال محمد رشيد رضا في مقدمة طبعته له عام ١٣٤٣ هجرية: «هذا التفسير من أشهر كتب التفسير في العناية بما روي عن مفسري السلف وبيان معاني الآيات وأحكامها»

وهو من أجود التفاسير وأنفعها وأشملها أيضًا، إلّا أنه يشتمل على روايات كثيرة وبعض القصص الإسرائيلية والأمور التي يغني بعضها عن بعض، ولم يسبق حسب علمي أن قام أحد باختصاره، لذا قمت بهذا العمل لنفسي أولًا، وحرصًا مني على تقريبه وتسهيله لمن يرغب في تفسير موثق لإمام من أئمة أهل السنة والجماعة، أسأل الله الإعانة والتوفيق والسداد والقبول.

منهج البغوي في تفسيره:

١ - من المعلوم أن أحسن طرق التفسير هي تفسير القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسّر في موضع آخر، ثم بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، ثم بأقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك حيث إنهم حضروا التنزيل وشاهدوا من القرائن والأحوال ما لم يعلمه غيرهم، ثم بأقوال التابعين الذين تعلموا على الصحابة وأخذوا عنهم، وهذا ما اتخذه البغوي منهجًا له في تفسيره.

٢ - سلك البغوي - رحمه الله - مسلكًا متوسطًا بلفظ موجز وسهل بعيدًا عن الاستطراد والحشو، جاء في مقدمة تفسيره: (جمعت بعون الله تعالى وحسن توفيقه فيما سألوا كتابًا متوسطًا بين الطويل الممل والقصير المخل) اهـ.

٣ - ما ذكره من الأحاديث النبوية الشريفة فغالبها يسوقها بأسانيدها التي اشترط فيها الصحة أو الحسن، وقد وضح ذلك بقوله: (ما ذكرت من أحاديث رسول الله - ﷺ - في أثناء الكتاب على وفق آية أو بيان حكم فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة، وعليها مدار الشرع وأمور الدين، فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث، وأعرضت عن ذكر المناكير وما لا يليق بحال التفسير).

٤ - ما ذكره عن الصحابة والتابعين فغالبًا يذكره بلا إسناد وذلك لأنه ذكر في مقدمته إسناده إلى كل من يروي عنهم.

٥ - يذكر أقوال السلف في تفسير الآية ولا يرجح بعضها على بعض في كثير من الأحيان إشارة منه - رحمه الله - إلى أن معنى الآية قد يحتمل جميع المعاني أو أكثرها، وهذه ميزة تميز بها تفسير البغوي قلما توجد في غيره.

٦ - يتحاشى ذكر المسائل الكلامية ويكتفي بإيراد منهج السلف فيها.

٧ - يذكر البغوي بعض الأخبار الإسرائيلية عند تفسير بعض الآيات التي تحكي قصص أهل الكتاب وهو مُقلّ منها بالنسبة لغيره من المفسرين.

٨ - يذكر بعض الأحكام الفقهية والقراءات المشهورة، وأسباب النزول في تفسيره.

عملي في التفسير:

ما يجده القارئ في هذا المختصر هو كله من كلام البغوي فقد التزمت بنصه التزامًا تامًّا ولم أتصرف فيه بالزيادة إلا ما استدعى السياق إضافته لربط كلام البغوي بعضه ببعض كواو العطف ونحوها، ليبقى التفسير بأسلوبه السهل الميسر وجماله الناصع مع تمام الترابط والانسجام، وقد جعلت ما أضفته بين قوسين تمييزًا له عن كلام البغوي... ومن هذا يعلم أن جميع ما في هذا المختصر هو من كلام البغوي، فإذا ورد فيه قوله: (قد روينا أو حدثنا) أو نحو ذلك فالقائل هو: البغوي، وقد حرصت على هذا المنهج لما لكلام الإمام البغوي - رحمه الله - من ميزة لدى العلماء تجعل الاطمئنان إليه أكثر والوثوق به أحرى، وما عملته في الاختصار لا يخرج في الغالب عن أحد الأمور التالية:

١ - استبعاد ما لا ضرورة له في بيان معاني الآيات من الروايات والأسانيد المطولة والأحكام التي لا حاجة لها والاقتصار من سند الحديث عند ذكره على اسم الصحابي الذي روى الحديث عن رسول الله ﷺ وتركت لمن أراد الاستزادة الرجوع إلى الأصل المختصر.

٢ - إذا تعددت الأحاديث التي يوردها المؤلف على وفق معاني الآيات الكريمة اقتصرت على ذكر حديث واحد منها وقد أقتصر على

موضع الشاهد من الحديث إذا كان يؤدي المعنى المقصود.

٣ - جرى تخريج الأحاديث الشريفة التي وردت في المختصر.

٤ - الإبقاء ما أمكن على الآيات التي استشهد بها المؤلف على طريقته في تفسير القرآن بالقرآن مع جعلها بين قوسين مختلفين عن أقواس الآيات المفسرة.

٥ - تجريد المختصر من الإسرائيليات ما أمكن إلا ما روى منها عن رسول الله ﷺ أو أقرّه.

٦ - عند تعدد ذكر الآثار أكتفي منها بما يكشف معنى الآية.

٧ - جرى حذف بعض القراءات وخاصة إذا لم يترتب على المحذوف منها تغير المعنى.

الطبعة التي اعتمدت عليها:

اعتمدت في عملي هذا على الطبعة المستقلة الكاملة لتفسير الإمام البغوي في طبعتها الثانية عام (١٤٠٧) هجرية التي حققها الأستاذان خالد عبدالرحمن العك، ومروان سوار، وقد قابلت ما أشكل فيها على طبعة عام (١٣٤٣) هجرية التي طبعت على حاشية تفسير الإمام ابن كثير. وبعد فراغي من العمل خرجت الطبعة الجديدة التي حققها الإخوة محمد عبدالله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش فاستفدت منها في مقابلة بعض العبارات المشكلة وفي بعض التخريجات للأحاديث النبوية الشريفة واكتفيت بذلك عن المقابلة على مخطوطة الكتاب وذلك لأن هذه الأخيرة طبعة مقابلة على مخطوطة الكتاب كما جاء في مقدمتها[1].

أسال الله الكريم أن ينفع بعملي هذا وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم. وجزى الله خيرًا من ينبهني على خطأ يجده فليراسلني على ص.ب (٣٤٠٦٥٥) الرياض (١١٣٣٣)، ومن ينتفع بما فيه فيدعو لي من وراء الغيب دعوة خير صادقة، والله الموفق وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الرياض في (٢٢/ ٩/ ١٤٢٢ هجرية)

د. عبدالله بن أحمد بن علي الزيد

(١) وقد جرى إعادة صف الكتاب في هذه الطبعة الثانية التي استدرك فيها كثير مما فات في الطبعة الأولى وجرى تنقيح الطباعة وتدقيقها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ترجمة الإمام البغوي

هو الإمام العلامة الحافظ المفسِّر المحدِّث الفقيه محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي من أئمة السلف الصالح المتمسكين بالكتاب والسنة.

ولد في بلدة (بغشور أو: بغ) وإليها نسبته وهي من بلاد خراسان، وذلك في أوائل العقد الرابع من القرن الخامس الهجري.

ونشأ البغوي شافعي المذهب غير متعصب لإمامه ولا مندد بغيره من العلماء، بل سلك مسلك أهل الاختيار والترجيح والتصحيح.

ومنهجه في العقيدة منهج السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم فلم يشغل نفسه بنظريات المتفلسفة وخلافات المتكلمين من الجهمية والمعتزلة وغيرهم، وإنما التزم بمنهج أهل السنة والجماعة ناشرًا له ومدافعًا عنه.

وقد تنقل البغوي في كثير من البلاد طلبًا للعلم إلى أن استقر في (مروالروذ) الوطن الثاني للبغوي، وبقي فيها إلى أن وافته المنية عن نيف وثمانين سنة فيما بين عام (٥١٠هـ) إلى (٥١٦هـ) على خلاف في ذلك.

وقد أجمع علماء أهل السنة على جلالة قدر الإمام البغوي ورسوخ علمه بالكتاب والسنة وعلومهما، وصفه من ترجم له: بشيخ الإسلام ومحيي السنة وعلَّامة زمانه وأنه دينًا ورعًا عابدًا حافظًا ثبتًا ثقة حجة صحيح العقيدة.

وهو من أئمة الحديث الشريف، واسع المعرفة بمتونه وأسانيده وأحوال رجاله. كما أنه إمام في الفقه والأحكام. وإمام في التفسير وعلوم القرآن الكريم.

وقد خلف مؤلفات كثيرة منها شرح السنة، ومصابيح السنة، ومعالم التنزيل وهو أصل هذا المختصر والتهذيب في فقه الإمام الشافعي. وغير ذلك كثير.

وأخذ الإمام البغوي العلم عن أئمة عصره وكبار الحفاظ والمحدثين في زمانه منهم: الإمام أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المروزي المتوفى سنة (٤٦٢هـ)، ومحدث مَرْو عبد الواحد بن أحمد المليحي الهروي المتوفى سنة (٤٦٣هـ)، والإمام علي بن يوسف الجويني شيخ الحجاز المتوفى (٤٦٣ هـ) وغيرهم.

وقد روى عنه تلاميذ عدة منهم مجد الدين العطاردي الأصولي والمحدث الطائي الهمذاني وآخرون. رحم الله البغوي رحمة واسعة ورحمنا معه بمنّه وكرمه إنه على ذلك قدير.

(١) سُورَة الفَاتِحَة

ولها ثلاثة أسماء معروفة: فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، وهي مكية على قول الأكثرين، وقال مجاهد: مدنية، وقيل: نزلت مرتين، مرة بمكة ومرة بالمدينة. والأول أصح أنّها مكية لأن الله تعالى منّ على الرسول ﷺ بقوله: (ولقد آتيناك سبعًا من المثاني)، والمراد منها: فاتحة الكتاب، وسورة الحِجْرِ مكية، فلم يكن يمنّ عليه بها قبل نزولها.

[١] قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الباء زائدة يخفض ما بعدها، مثل مِنْ وعَنْ، والمتعلق به محذوف لدلالة الكلام عليه، تقديره: ابدأ بسم الله أو قل بسم الله، وأُسقطت الألف من الاسم طلبًا للخفة لكثرة استعمالها، فإن قيل: ما معنى التسمية من الله لنفسه؟ قيل: هو تعليمٌ للعباد كيف يستفتحون القراءة.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهِ﴾ قال الخليل وجماعة: هو اسم علم خاصٍ لله عزّ وجلّ لا اشتقاق له كأسماء الأعلام للعباد، مثل زيد وعمرو، وقال جماعة: هو مشتق، ثم اختلفوا في اشتقاقه فقيل: من أله إلاهة أي: عبد عبادة، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما «ويذرك وإلاهتك» أي: عبادتك. معناه أنه المستحق للعبادة دون غيره، وقيل: أصله إله، قال الله عزَّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾، قال المبرد: هو قول العرب: ألهت إلى فلان أي سكنت إليه، قال الشاعر:

ألـهـت إلـيـهـا والـحـوادث جـمـة

فكأن الخلق يسكنون إليه ويطمئنون بذكره، يقال: ألهت إليه أي: فرغت إليه. وقيل: أصل الإله ولاه، فأُبدلت الواو بالهمزة مثل وشاح وأشاح، اشتقاقه من الوله لأن العباد يولهون إليه، أي يفزعون إليه في الشدائد ويلجؤون إليه في الحوائج كما يوله كل طفل إلى أمه، وقيل: هو من الوله وهو ذهاب العقل لفقد من يعز عليك.

قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، واختلفوا في آية التسمية فذهب قراء المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة إلى أنها ليست من فاتحة الكتاب، ولا من غيرها من السور والافتتاح بها للتيمن والتبرك، وذهب قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز إلى أنها ليست من الفاتحة وليست من سائر السور، فإنما كتبت للفصل، وذهب جماعة إلى أنها من الفاتحة ومن كل سورة إلا سورة التوبة، واتفقوا على أن الفاتحة سبع آيات والآية الأولى عند من يعدها من الفاتحة بسم الله الرَّحمن الرَّحِيمِ وابتداء الآية الأخيرة صراط الذين، ومن لم يعدها من الفاتحة قال: ابتداؤها الحمدلله رب العالمين وابتداء الآية الأخيرة غير المغضوب عليهم.

[٢، ٣] قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لفظه خبر كأنه يخبر عن المستَحِق للحمد هو الله عزّ وجلّ، وفيه تعليم الخلق تقديره: قولوا الحمدلله، والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة، يُقال: حمدت فلانًا على ما أسدى إليّ من نعمة، وحمدته على علمه وشجاعته، والشكر لا يكون إلا على النعمة، والحمد أعم من الشكر إذ لا يقال: شكرت فلانًا على علمه، فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدًا.

قوله: ﴿لِلَّهِ﴾ اللام فيه للاستحقاق كما يُقال الدار لزيدٍ. قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فالرب يكون بمعنى المالك كما يُقال لمالك الدار: ربُّ الدار، ويقال: ربّ الشيء إذا ملكه، ويكون بمعنى التربية والإصلاح يقال: ربّ

فلانٌ الضيعةَ يربها إذا أتمها وأصلحها، فالله تعالى مالك العالمين ومُربّيهم، ولا يقال للمخلوق: هو الرب معرفًا، إنّما يُقال: ربّ كذا مضافًا، لأنَّ الألف واللام للتعميم، وهو لا يملك الكل.

والعالمين: جمع عالم والعالم جمعٌ لا واحدَ له من لفظه، واختلفوا في العالَمين، قال ابن عباس: هم الجن والإنس، لأنهم مكلفون بالخطاب، قال الله تعالى: (ليكون للعالمين نذيرًا): وقال قتادة ومجاهد والحسن: جميع المخلوقين، قال الله تعالى: (قال فرعون وما ربُّ العالمين قال ربّ السموات والأرض وما بينهما).

[٤] قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قرأ عاصم والكسائي ويعقوب ﴿مَٰلِكِ﴾ وقرأ الآخرون «ملك» قال قوم: معناهما واحد مثل فرهين وفارهين وحذرين وحاذرين، ومعناهما الربّ، يقال: رب الدار ومالكها، وقيل: المالك هو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود، ولا يقدر عليه أحدٌ غير الله، قال ابن عباس ومقاتل والسدي: ملك يوم الدين قاضي يوم الحساب، وقال قتادة: الدين الجزاء، ويقع على الجزاء في الخير والشر جميعًا، كما يقال: كما تَدين تُدان، قال محمد بن كعب القرظي: ملك يوم لا ينفع فيه إلا الدِّين، وقال يَمَانُ بن رياب: الدِّين القهر، يُقال: دِنته فدان، أي: قهرته فذل، وقيل: الدِّين الطاعة، أي: يوم الطاعة، وإنما خُص يومُ الدين بالذكر مع كونه مالكًا للأيام كلها لأن الأملاك يومئذٍ زائلة فلا ملك ولا أمر إلّا له، قال الله تعالى: (الملك يومئذٍ الحق للرحمن).

[٥] قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾، إيَّا كلمة ضمير خُصتْ بالإضافة إلى المضمر.

قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ أي: نوحدك ونطيعك خاضعين، والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع، وسمي العبد عبدًا لذلته وانقياده يقال: طريق معبد

١

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا
ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

أي: مُذلل، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، نطلب منك المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا.

[٦] قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، اهدنا: أرشدنا، وقال علي وأُبيّ بن كعب: ثبّتنا، كما يُقال للقائم: قم حتى أعود إليك، أي: دم على ما أنت عليه، وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية، بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية، لأن الألطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى على مذهب أهل السنة.

﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: وصراط قُرئ بالسين وهو الأصل، سمي سراطًا لأنه يسرط السابلة، ويُقرأ بالزاي وقرأ حمزة بإشمام الزاي وكلها لغات صحيحة، والاختيار الصاد عند أكثر القراء لموافقة المصحف.

والصراط المستقيم: قال ابن عباس وجابر: هو

الإسلام وهو قول مقاتل، وقال ابن مسعود: هو القرآن وروي عن علي مرفوعًا: «الصراط المستقيم كتاب الله»[١] وقال سعيد بن جبير: طريق الجنة، وقال سهل بن عبدالله: طريق السنة والجماعة، وقال بكر بن عبدالله المزني: طريق رسول الله ﷺ، وقال أبو العالية والحسن: رسول الله وآله وصاحباه، وأصله في اللغة الطريق الواضح.

[٧] ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ أي: مننت عليهم بالهداية والتوفيق، قال عكرمة: مننت عليهم بالثبات على الإيمان والاستقامة وهم الأنبياء عليهم السلام، وقيل: هم كل من ثبّته الله على الإيمان من النبيين والمؤمنين. وقال ابن عباس: هم قوم موسى وعيسى عليهما السلام قبل أن غيّروا دينهم، وقال عبد الرحمن: هم النبي ومن معه، وقال أبو العالية: هم الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال عبد الرحمن بن زيدان: رسول الله ﷺ وأهل بيته، وقال شَهْرُ بن حوشب: هم أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته.

قوله: ﴿غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم﴾ يعني: غير صراط الذين غضبت عليهم.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: وغير الضالين عن الهدى، وأصل الضلال الهلاك والغيبوبة، يقال: ضل الماء في اللبن إذا هلك وغاب، و«غير» ههنا بمعنى لا، ولا بمعنى غير، وقيل: ﴿ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم﴾ هم اليهود والضالون هم النصارى، لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيهِ﴾ [المائدة: ٦٠] وحكم على النصارى بالضلال فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهوَآءَ قَومٍ قَد ضَلُّواْ مِن قَبلُ﴾ [المائدة: ٧٧] وقال سهل بن عبدالله: غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة.

والسنة للقارئ أن يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة ﴿ءَامِينَ﴾، مفصولًا عن الفاتحة بسكتة، وهو مخفف ويجوز ممدودًا ومقصورًا، ومعناه اللهم اسمعْ واستجب.

(فصل في فضل فاتحة الكتاب)

قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما أُنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها وإنها لهي السبع المثاني التي آتاني الله عزّ وجلّ»، هذا حديث حسن صحيح[٢].

وعن ابن عباس قال: بينا رسول الله ﷺ وعنده جبريل إذا سمع نقيضًا من فوقه، فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: هذا باب فتح من السماء ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك فأتى النبي ﷺ فقال: «أبشرْ بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفًا منهما إلا أعطيته»، صحيح[٣].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج غير تمام».

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل» قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا يقول العبد ﴿ٱلحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلعَٰلَمِينَ﴾ يقول الله: حمدني عبدي، يقول العبد: ﴿ٱلرَّحمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يقول الله: أثنى عليّ عبدي، يقول العبد: ﴿مَٰلِكِ يَومِ ٱلدِّينِ﴾، يقول الله: مجدني عبدي، يقول العبد:

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١/ ١٧٢ وضعفه أحمد شاكر في تعليقه عليه. (٢) رواه الترمذي في فضائل القرآن باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ٨/ ١٧٨-١٨٠، وأحمد في المسند ٢/ ٤١٢-٤١٣، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم. انظر الترغيب والترهيب للمنذري ٢/ ٣٦٧، وأخرجه المصنف في شرح السنة ٤/ ٤٤٦، ٤٤٧ (٣) رواه مسلم في صلاة المسافرين برقم (٨٠٦) ١/ ٥٥٤، والنسائي في افتتاح الصلاة ٢/ ١٣٨ والمصنف في شرح السنة ٤/ ٤٦٦.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، يقول الله عزّ وجلّ: هذه الآية بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، يقول العبد: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ○ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، يقول الله: (فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل)، صحيح[1].

(٢) سُورَة البَقَرة

[١] ﴿الٓمٓ﴾ قال الشعبي وجماعة: الٓمٓ وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وهي سرُّ القرآن، فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها، قال أبو بكر الصديق: في كل كتاب سرّ وسرّ الله في القرآن أوائل السور، وقال علي: إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي.

وقال جماعة: هي معلومة المعاني، فقيل: كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه كما قال ابن عباس في كهيعص، الكاف من كافي والهاء من هادي والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق، وقيل في الٓمٓصٓ أنا الله الملك الصادق، وقال الربيع بن أنس في الٓمٓ: الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه اللطيف والميم مفتاح اسمه المجيد، وقال محمد بن كعب: الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: معنى الٓمٓ أنا الله أعلم، ومعنى الٓمٓصٓ أنا الله أعلم وأفصل، ومعنى الٓرٓ أنا الله أرى، ومعنى الٓمٓر أنا الله أعلم وأرى. قال الزجاج: وهذا حسن فإن العرب تذكر حرفًا من كلمة تريدها كقولهم:

قلت لها قفي فقالت لي قاف[2]

أي: وقفت.

وعن سعيد بن جبير قال: هي أسماء الله تعالى مقطعة لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم، ألا ترى أنك تقول الٓمٓر وحمٓ ونٓ فيكون الرحمن، وكذلك سائرها إلا أنا لا نقدر على وصلها.

وقال قتادة: هذه الحروف أسماء القرآن، وقال مجاهد وابن زيد: هي أسماء السور، وبيانه أن القائل إذا قال قرأت الٓمٓصٓ عرف السامع أنه قرأ السورة التي افتتحت بالٓمٓصٓ، وروي عن ابن عباس: أنها أقسام، وقال الأخفش: إنما أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لأنها مباني كتبه المنزلة ومبادئ أسمائه الحسنى.

[٢] قوله: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ أي: هذا الكتاب وهو القرآن، وأصل الكتاب الضم والجمع، وسُمي الكتاب كتابًا لأنه جمع حرف إلى أحرف.

قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، أي: لا شك فيه أنه من عند الله وأنه الحق والصدق، وقيل: هو خبر بمعنى النهي أي: لا ترتابوا فيه.

قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: هو هدى، أي: رشد وبيان لأهل التقوى، وقيل: هو نصب على الحال، أي: هاديًا تقديره لا ريب فيه، في هدايته للمتقين، والهدى ما يهتدي به الإنسان. للمتقين، أي: للمؤمنين، قال ابن عباس: المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش، وهو مأخوذ من الاتقاء، وأصله الحجز بين شيئين، ومنه يُقال: اتقى بترسه أي: جعله حاجزًا بين نفسه وبين ما يقصده. فكأن المتقي يجعل امتثال أمر الله والاجتناب عما نهاه حاجزًا بينه وبين العذاب وتخصيص المتقين بالذكر تشريف لهم أو لأنهم هم المنتفعون بالهدى.

[٣] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ موضع (الذين)

---

(١) رواه مسلم في الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة رقم (٣٩٥) ١/ ٢٩٦، والمصنف في شرح السنة ٣/ ٤٧.

(٢) هذا الرجز للوليد بن عقبة انظر تفسير الطبري ١/ ٢١٢.

خفض؛ نعتًا للمتقين، يؤمنون يصدقون، وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب، قال الله تعالى: (وما أنت بمؤمن لنا) أي: بمصدق لنا، وهو في الشريعة: الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان، فسُمي الإقرار والعمل إيمانًا لوجه من المناسبة لأنه من شرائعه، والإسلام هو الخضوع والانقياد فكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيمانًا إذا لم يكن معه تصديق، وذلك لأن الرجل قد يكون مستسلمًا في الظاهر غير مصدق في الباطن ويكون مصدقًا في الباطن غير منقاد في الظاهر، والإيمان مأخوذ من الأمان فسُمي المؤمن مؤمنًا لأنه يُؤمّن نفسه من عذاب الله، والله تعالى مؤمن لأنه يؤمّن العباد من عذابه.

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ ما كان مغيبًا من العيون، قال ابن عباس: الغيب ههنا كل ما أُمرت بالإيمان به فيما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان، وقيل: الغيب ههنا هو الله تعالى، وقيل: القرآن وقال الحسن: الآخرة، وقال ابن جريج: الوحي.

قوله: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، أي: يديمونها ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها وأركانها وهيئاتها، يقال: قام بالأمر وأقام الأمر إذا أتى به معطيًا حقوقه، أو المراد بها الصلوات الخمس، ذُكر بلفظ الواحد. والصلاة في اللغة: الدعاء، قال الله تعالى: (فصلِّ عليهم) أي: ادعُ لهم، وفي الشريعة اسم لأفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء وثناء.

قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾، أي: أعطيناهم، والرزق اسم لكل ما يُنتفع به حتى الولد والعبد، وأصله في اللغة: الحظ والنصيب.

﴿يُنفِقُونَ﴾: يتصدقون، قال قتادة: ينفقون في سبيل الله وطاعته، وأصل الإنفاق: الإخراج عن اليد والملك، وهذه الآية في المؤمنين من مشركي

٢

سُورَةُ البَقَرَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

العرب.

[٤] قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، يعني: القرآن. ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: من التوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزّلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتب.

قوله: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ﴾، أي: بالدار الآخرة، سُميت الدنيا: دنيا لدنوها من الآخرة، وسُميت الآخرة: آخرة لتأخرها وكونها بعد الدنيا ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾، أي: يستيقنون أنها كائنة، من الإيقان وهو العلم، وقيل: الإيقان واليقين علم عن استدلال، ولذلك لا يُسمى الله موقنًا ولا علمه يقينًا إذْ ليس علمه عن استدلال.

[٥] قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: أهل هذه الصفة ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾، أي: رُشد وبيان وبصيرة. ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الناجون والفائزون فازوا

بالجنة ونجوا من النار، ويكون الفلاح بمعنى البقاء، أي باقون في النعيم المقيم، وأصل الفلاح: القطع والشق، ومنه سُمي الزَّراع: فلاحًا لأنه يشق الأرض، فهم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة.

[٦] قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني مشركي العرب، قال الكلبي: يعني اليهود، والكفر هو الجحود، وأصله: من الستر ومنه سُمي الليل كافرًا لأنه يستر الأشياء بظلمته، وسُمي الزَّراع كافرًا لأنه يستر الحب بالتراب، فالكافر يستر الحق بجحوده، والكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق، فكفر الإنكار هو أن لا يعرف الله أصلًا ولا يعترف به، وكفر به، وكفرُ الجحود هو أنْ يعرف الله بقلبه ولا يعترف بلسانه ككفر إبليس وكفر اليهود، وكفرُ العناد هو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب، وأما كفر النفاق فهو أن يقرّ باللسان ولا يعتقد بالقلب.

وجميع هذه الأنواع سواء في أن من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له.

قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ متساوٍ لديهم ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾: خوفتهم وحذّرتهم، والإنذار: إعلام مع تخويف وتحذير، فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرًا. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف على الاستفهام، ﴿لَمْ﴾: حرف جزم لا يلي إلا الفعل، لأن الجزم يختص بالأفعال. ﴿نُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله.

ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال:

[٧] ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾ أي: طبع الله ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فلا تعني خيرًا ولا تفهمه، وحقيقة الختم: الاستيثاق من الشيء كيلا يدخله ما خرج منه ولا يخرج عنه ما فيه، ومنه الختم على الباب، قال أهل السنة أي: حكم على قلوبهم بالكفر لما سبق من علمه الأول فيهم، وقال المعتزلة: جعل على قلوبهم علامة تعرفهم الملائكة بها، ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، أي: على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به، وأراد على أسماعهم كما قال على قلوبهم، وإنما وحده لأنه مصدر والمصدر لا يُثنى ولا يُجمع. ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾: هذا ابتداء كلام، غشاوة أي: غطاء فلا يرون الحق.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: في الآخرة، وقيل: القتل والأسر في الدنيا والعذاب الدائم في العُقبى، والعذاب: كل ما يعني الإنسان ويشق عليه، قال الخليل: العذاب ما يمنع الإنسان عن مراده، ومنه الماء العذب لأنه يمنع العطش.

[٨] قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ نزلت في المنافقين وأكثرهم من اليهود، والناس:

الجزء الأول ٣ سورة البقرة

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

جمع إنسان، وسمي به لأنه عُهد إليه فنسي، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾، وقيل: لظهوره من قولهم أي أبصرت، وقيل: لأنه يستأنس به. ﴿وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أي: بيوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾.

[٩] ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أي: يخالفون الله، وأصل الخداع في اللغة الإخفاء، ومنه المخدع للبيت الذي يُخفي فيه المتاع، فالمخادع يظهر خلاف ما يضمر. وقيل: أصل الخداع: الفساد، معناه: يفسدون ما أظهروا من الإيمان بما أضمروا من الكفر ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، أي ويخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم آمنا وهم غير مؤمنين. ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾، لأن وبال خداعهم راجع إليهم لأن الله يُطلع نبيه ﷺ على نفاقهم فيُفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العُقبى، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يعلمون أنهم يخدعون أنفسهم وأن وَبَالَ خداعهم يعود عليهم.

[١٠] ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شك ونفاق، وأصل المرض الضعف، سُمي الشك في الدنيا مرضًا لأنه يُضعف الدينَ كالمرض يضعف البدنَ، ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾، لأن الآيات كانت تنزل تترى آيةً بعد آية، كلما كفروا بآية ازدادوا كفرًا ونفاقًا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم يخلص وجعُه إلى قلوبهم، ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾: ما للمصدر، أي: بتكذيبهم الله ورسوله في السر.

[١١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾، يعني: للمنافقين، وقيل: لليهود، أي: قال لهم المؤمنون: ﴿لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن، وقيل: معناه لا تكفروا، والكفر أشدّ فسادًا في الدين، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: يقول هذا القول كذبًا كقولهم آمنا وهم كاذبون.

[١٢] ﴿أَلَآ﴾: كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب، ﴿إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ أنفسهم بالكفر، والناس بالتعويق عن الإيمان، ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يعلمون أنهم مفسدون، لأنهم يظنون أنّ الذي هم عليه من إبطان الكفر صلاح، وقيل: لا يعلمون ما أعد الله لهم من العذاب.

[١٣] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: للمنافقين، وقيل: لليهود: ﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾: عبدالله بن سلام وغيره من مؤمني أهل الكتاب، وقيل: كما آمن المهاجرون والأنصار، ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ أي: الجهال، فإن قيل: كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء؟ قيل: إنهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين، فأخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بذلك فردَّ الله عليهم فقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾، أنهم كذلك، والسفيه خفيف العقل رقيق الحلم، من قولهم: ثوب سفيه أي: رقيق، وقيل: السفيه: الكذاب الذي يتعمد بخلاف ما يعلم.

[١٤] ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعني: هؤلاء المنافقين إذا لقوا المهاجرين والأنصار: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ كإيمانكم ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ﴾ رجعوا، ويجوز أن يكون من الخلوة، و﴿إِلَىٰ﴾، بمعنى: الباء أي: بشياطينهم، وقيل: إلى بمعنى مع، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ أي: مع أموالكم ﴿شَيَٰطِينِهِمْ﴾، أي: رؤسائهم وكَهَنَتِهم، ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان تابع له، والشيطان المتمرّد العاتي من الجن والإنس ومن كل شيء، وأصله البُعد، يقال: بئر شطون، أي: بعيدة العمق، سُمي الشيطان شيطانًا لامتداده في الشر وبعده من الخير، وقال مجاهد: إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾، أي: على دينكم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بمحمد ﷺ وأصحابه بما نُظهر من الإسلام.

[١٥] ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ﴾: يتركهم ويمهلهم، والمد والإمداد واحد، وأصله الزيادة إلا أن المدَّ كثيرًا ما يأتي في الشر، والإمداد في الخير، قال الله تعالى في المدّ (وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا)، وقال في الإمداد: (وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ)، (وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ). ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ أي: في ضلالتهم، وأصل الطغيان: مجاوزة الحدّ، ومنه: طغى الماء ﴿يَعْمَهُونَ﴾، أي يتردّدون في الضلالة متحيرين.

[١٦] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾: بالإيمان ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾، أي: استبدلوا الكفر، أي: ما ربحوا في تجارتهم ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾: من الضلالة، وقيل: مصيبين في تجارتهم.

[١٧] ﴿مَثَلُهُمْ﴾: شَبَهُهُمْ، وقيل: صفتهم، والمَثَلُ قولٌ سائر في عُرف الناس يعرف به منه الشيء، وهو أحد أقسام القرآن السبعة، ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى﴾: يعني الذين بدليل سياق الآية ﴿ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾: أوْقَدَ نارًا، ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾ النار ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾، أي: حول المستوقد ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾، قال ابن عباس: نزلت في المنافقين، يقول: مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد نارًا في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفأ ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف، فبينما هو كذلك إذ طُفئت نارُه فبقي في ظلمة خائفًا متحيرًا، فكذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أمِنُوا على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين، ووارثوهم وقاسموهم الغنائم، فذلك نورهم، فإذا ماتوا عادُوا إلى الظلمة والخوف، وقيل: ذهاب نورهم في القبر، وقيل: في القيامة حيث يقولون للذين آمنوا انظرونا نقتبسْ من نوركم، وقيل: ذهاب نورهم بإظهار عقيدتهم على لسان النبي ﷺ، فضرب النار مثلًا، ثم لم يقل: أطفأ الله نارهم لكن عبّر بإذهاب النور عنه، لأن النار نورٌ وحرارةٌ فيذهب نورُهم وتبقى الحرارةُ عليهم، وقال مجاهد: إضاءة النار إقبالهم إلى المسلمين والهدى، وذهاب نورهم إقبالهم إلى المشركين والضلالة، وقال عطاء: نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي ﷺ واستفتاحهم به على مشركي العرب، فلما خرج كفروا به.

ثم وصفهم الله فقال:

[١٨] ﴿صُمٌّۢ﴾ أي: هم صُم عن الحق لا يقبلونه، وإذا لم يقبلوا فكأنهم لم يسمعوا، ﴿بُكْمٌ﴾ خُرسٌ عن الحق لا يقولونه، أو أنهم لما أبطنوا خلاف ما أظهروا فكأنهم لم ينطقوا بالحق، ﴿عُمْىٌ﴾ أي: لا بصائر لهم، ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له، ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضلالة إلى الحق.

[١٩] ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ أي: كأصحاب صيب، وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين، بمعنى: إن شئت مثّلهم بالمستوقد، وإن شئت بأهل الصيّب، والصيب: المطر وكل ما نزل من الأعلى إلى الأسفل فهو صيب، فعيل من صاب يصوب، أي: نزل ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من السحاب، وقيل: هي السماء بعينها، والسماء كل ما علاك فأظلك، وهي من أسماء الأجناس يكون واحدًا وجمعًا. ﴿فِيهِ﴾ أي: في الصيّب، وقيل: في السماء، أي: في السحاب ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ جمع ظلمة ﴿وَرَعْدٌ﴾: وهو الصوت الذي يسمع من السحاب، ﴿وَبَرْقٌ﴾: وهو النار التي تخرج منه ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾: جمع صاعقة، وهي الصيحة التي يموت من يسمعها أو يُغشى عليه، ويقال لكل عذاب مُهلك: صاعقة.

قوله: ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾، أي: مخافة الهلاك، ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾، أي: عالم بهم، وقيل: جامعهم، قال مجاهد: يجمعهم فيعذبهم، وقيل: مهلكهم، دليله قوله تعالى: (إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ) أي تُهلكوا جميعًا.